الإنسان ومركزية التنمية الاجتماعية عند مالك بن نبي.

إعداد وتقديم :

أ. د. موسى بن موسى

benmoussa-moussa@univ-eloued.dz

قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة الوادي - مخبر البحث التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر

ملخص :

مالك بن نبي، عالم اجتماع جزائري، كان له إسهامات كبيرة في فلسفة التنمية الاجتماعية. تمثل مفهوم "الإنسان ومركزية التنمية الاجتماعية" عنده في التأكيد على أن التنمية الحقيقية تحدث عندما يتم وضع الإنسان في مركز الاهتمام والاعتبار في عملية التخطيط والتنمية الاجتماعية. وقد كرس حياته المهنية لفهم التحولات الاجتماعية والثقافية في العالم العربي والإسلامي. واعتبر أن الإنسان هو المحور الأساسي للتنمية، وأن التركيز يجب أن يكون على تحقيق رفاهية وسلامة الإنسان قبل أي شيء آخر.

وهو يؤكد على أهمية الحرية الفردية والعدالة الاجتماعية كأساسيات لتحقيق التنمية الشاملة والمستدامة. كما شدد على أن التغييرات الاجتماعية والاقتصادية يجب أن تخدم الإنسان وتحسن معيشته بشكل فعال. باختصار، مالك بن نبي يرى أن التنمية الاجتماعية الحقيقية تبدأ من الإنسان نفسه، وأنه يجب تحقيق العدالة الاجتماعية والتمتع بالحريات الأساسية كخطوات أساسية نحو التنمية الشاملة والمستدامة في المجتمعات.

الكلمات المفتاحية : الإنسان – مركزية التنمية – التنمية الاجتماعية – التنمية المستدامة – الحضارة.

Abstract :

Malik Bennabi, an Algerian sociologist, made significant contributions to the philosophy of social development. His concept of "Human and the Centrality of Social Development" emphasizes that true development occurs when human beings are placed at the center of attention and consideration in social planning and development processes. He dedicated his career to understanding social and cultural transformations in the Arab and Islamic worlds. Bennabi argued that humans are the primary focus of development, stressing the importance of achieving human well-being and safety above all else.

He underscored the importance of individual freedom and social justice as fundamentals for achieving comprehensive and sustainable development. Bennabi also emphasized that social and economic changes should serve to effectively improve human livelihoods. In essence, Bennabi believed that genuine social development begins with the individual, and achieving social justice and enjoying basic freedoms are crucial steps towards comprehensive and sustainable development in societies.

Key words :

Human being - Centrality of development - Social development - Sustainable development - Civilization.

مقدمة:

تعدّ قضية التنمية الاجتماعية واحدة من أهم القضايا التي تناولها المفكر الجزائري مالك بن نبي في كتاباته. وتركز فلسفته حول الإنسان باعتباره المحور الأساسي والفاعل الأول في عملية التنمية. انطلاقا من كون الإنسان الكائن المكلف، ذلك من خلال الآية **﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا. ﴾ الاحزاب 72.** هذا ما يؤكد مبدأ الاستخلاف الذي أقره الله في قوله : **﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة 30**

والتنمية الاجتماعية هي حركة مطردة يساهم في تفعيلها المجتمع، الذي يكون الإنسان عنصر أساسي في تشكيله، هذا ما يساهم في بلورة تحولات اجتماعية. ومن هذا المنطلق، سوف نتناول هذه القضية من خلال مداخلة حول هذا الموضوع بعنوان :

" الإنسان ومركزية التنمية الاجتماعية عند مالك بن نبي ".

وحتى نستطيع تناول الموضوع لابد من طرح إشكالية المداخلة التي مفادها :

كيف يفسر مالك بن نبي دور الإنسان في عملية التنمية الاجتماعية؟ وما هي العوامل التي يعتبرها أساسية لتحقيق تنمية اجتماعية مستدامة وفقًا لفلسفته؟

أما نقاط النقاش ضمن الإشكالية تكمن في مايلي :

أولا – المفهوم المركزي للإنسان في فكر بن نبي، الذي بدوره يقوم على تساؤلين هما :

- كيف يرى مالك بن نبي الإنسان بوصفه المحور الأساسي للتنمية؟
- ما هي الصفات والقدرات التي يجب أن يتحلى بها الإنسان ليكون قادراً على إحداث التغيير والتنمية؟

ثانيا – العلاقة بين الثقافة والتنمية، ولا يتضح ذلك إلا من خلال :

- كيف يؤثر البعد الثقافي على عملية التنمية الاجتماعية؟
- ما هو دور الثقافة في بناء الإنسان الفاعل والمبدع حسب بن نبي؟

ثالثا – دور الفكر والقيم في التأثير على التنمية الاجتماعية، الذي يمكن ابرازه من خلال التساؤلين الآتيين :

- كيف يرى بن نبي تأثير الفكر والقيم الأخلاقية على التنمية الاجتماعية؟
- ما هي القيم التي يعتبرها ضرورية لتحقيق التنمية؟

رابعا – البيئة الاجتماعية والمؤسسات، ذلك من خلال :

- الدور الذي تلعبه المؤسسات الاجتماعية في تعزيز أو إعاقة عملية التنمية.
- دور البيئة الاجتماعية في دعم الإنسان في مسيرته نحو التنمية.

تمهيد :

مالك بن نبي فيلسوف ومفكر جزائري بارز، ولد عام 1905م في مدينة قسنطينة[1]، وهو مالك الحاج عمر بن لخضر بن مصطفى بن نبي شرق الجزائر[2]. وهو فيلسوف الحضارة، له أفكار مهمة بشأن الإنسان ومركزية التنمية الاجتماعية. ولا ينهض المجتمع، ولا يعرف الاستقرار إلاّ بالفاعلية الثقافية، ولا تكتمل فيه، إلا بالممارسة والحقن الحضاري. وأيّ تأخر في عملية البذر الثقافي الدؤوب في بناء وتنشئة المجتمع، ستجعل منه مجتمعاً متخلفاً وبدائياً تعمه الهمجية ويحيا بالتخلف والفوضى، لذلك فقد عرّف المفكر مالك بن نبي الحضارة قائلاً : « ... إنني أؤمن بالحضارة على أنها حماية للإنسان، لأنها تضع حاجزاً بينه وبين الهمجية[3] ... »

يعد مالك بن نبي واحدًا من رواد التفكير في التحرر الوطني والتنمية الاجتماعية في الجزائر، والعالم العربي والإسلامي، حيث تركز فلسفة مالك بن نبي على أهمية الإنسان كمركز للتنمية الاجتماعية. كما أنه أكد على ضرورة التأكيد على قيمة الإنسان وحقه في التنمية الشاملة، رافضا التسليم لأشكال الاستعمار والتبعية

[1] مالك بن نبي : **مذكرات شاهد للقرن**، اشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 1413ه/1993م، ص 15.

[2] عبد الله بن حمد العويسي : **مالك بن نبي حياته وفكره**، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2012، ص 51.

[3] مالك بن نبي : **القضايا الكبرى**، اشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 1420ه/2000م، ص 78.

الاجتماعية. وهو يعتبر أن التنمية الحقيقية تأتي من خلال تمكين الإنسان واحترام كرامته، وأن القضاء على الظلم الاجتماعي هو شرط أساسي للتقدم الحقيقي للمجتمعات[1].

إن من المعروف أن مالك بن نبي قدم تحليلات نقدية للوضع الاجتماعي والسياسي في العالم العربي والإسلامي، داعيا إلى تغيير جذري في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية لتحقيق التحرر والتقدم**أولا – المفهوم المركزي للإنسان في فكر بن نبي:**

إن الطبيعة البشرية للإنسان هي المحور الذي يدور عليه الوضع البشري، الذي منه يبرز وإليه ينتهي، فلا يمكن في أي حال من الاحوال الحديث عن مجتمع دون إنسان، ذلك للاطراد المتحكم بين الطرفين. فالإنسان يتكيف طبقا لحاجياته ومقتضيات التشريع بما وهبه الله تعالى من استعدادات فطرية[2].

إن المفهوم المركزي للإنسان في فكر بن نبي يقوم أساسا على اعتبار الإنسان المفهوم المركزي والجوهر الأساسي، الذي تدور حوله رؤيته للإصلاح الاجتماعي والحضاري. ومالك يضرب مثلاً بحياة الإنسان و تعرفه على هذه العوامل الثلاثة التي تقوم عليها الحياة (عالم الأشياء – عالم الاشخاص – عالم الأفكار)، فالطفل الوليد باعتباره كائناً منعزلاً في طريقه إلى الاندماج، يبدأ أولاُ بالتعرف على عالم الأشياء، حيث يتعرف على يده و رجله باعتبارها أشياء دون إدراك حقيقي منه بأنها جزء من كينونته، فيضعها في فمه في محاولة للتعرف عليها. كما يفعل بالضبط مع ثدي أمه التي لا يتعرف عليها، وهي لا تمثل إليه سوى الثدي أو – مصدر الطعام – فمالك – على حد تعبيره – يقول إنه في هذه المرحلة يمكن أن تحل "الرضَّاعة" الصناعية محل (الأم/الثدي) بسهولة (مرحلة الشيء)[3].

ثم يبدأ الطفل يألف هذا العالم من خلال تعرفه على أمه ككيان كامل، فيتعرف على وجهها ويستأنسها ويقلدها في كل شيء، ثم يبدأ في التعرف على بقية الأشخاص ويتفاعل معهم، فهو يلج عالم الأشخاص[4]. وفي سن السادسة ومع تمكن الطفل من ناصية اللغة يبدأ في التعامل مع الأفكار المجردة ويبدأ في تكوين رأيه الخاص. كما يبدأ في التجريد، ويكون مقدار ذكاءه بمقدار ما يستطيع التخلص من ربط هذه الأفكار بالأشخاص والأشياء، وتكوين مفاهيم مجردة مستقلة عن العالمين السابقين، ليلج عالم الأفكار. ومن هنا أراد مالك بن نبي بضرب هذا المثل أن يؤسس لفكرتين الفكرة الأولى أن العوالم الثلاثة متواجدين دوماً في وعي الإنسان، ومؤثرين فيه، لكن باختلافهم تختلف أفكار الإنسان بعضها عن بعض، والفكرة الأخرى وهي ربط

---

[1] مالك بن نبي : نفس المصدر، ص ص 78، 79.

2 محمد الشافي : " فلسفة الإنسان والحضارة عند مالك بن نبي من خلال الدراسات المعاصرة – التأصيل والأبعاد – "، **مجلة العلوم الإسلامية والحضارة**، مطبعة مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 4، العدد 1، الاغواط، الجزائر، 30 جانفي 2019، ص 62.

[3] عمر احمد محمد سعيد عثمان : **مالك بن نبي – مهندس الحضارة –**، ور قة بحثية، إشراف توفيق العوجي، جامعة بيروت الإسلامية، الرابط : https://www.academia.edu، ص 10.

[4] عمر احمد محمد سعيد عثمان : نفس المرجع، ص 10.

مراحل الإنسان العمرية ونضجه بنضج المجتمعات[1].

ومما سبق فالإنسان في خضم هذه العوالم وبعد اكتمال نضجه، يكون بين خيارين إما أن يعتزل منفردا يتلبسه الشعور بالفراغ الكوني، غير أن طريقته في ملء هذا الفراغ؛هي التي تبرز ملامح ثقافته وحضارته؛ أي سائر الخصائص الداخلية منها والخارجية لوظيفته التاريخية. ولملء الفراغ هناك مسلكين[2] :

- إما أن ينظر المرء حول قدميه، أي نحو الأرض،

- وإما أن يرفع نظريه نحو السماء.

فالمسلك الأول يملأ عزلته بالأشياء، حيث يلوح بصره المتسلط لتملكها، في حين أن المسلك الثاني يملأ انعزاله بأفكار، فيصير يبحث عن الحقيقة ببصيرته المتسائلة. وهنا يجسد الإنسان في عزلته موقف مادي (الثقافة الغربية)؛ أي ثقافة سيطرة ذات جذور تقنية، أو فكري (الثقافة الإسلامية)؛أي ثقافة حضارة ذات جذور أخلاقية وغيبية[3]. وإن الإنسان في فكر مالك بن نبي يمكن تلخيصه من خلال عدة نقاط رئيسية :

1 - **الإنسان كفاعل حضاري** : فهو العنصر الأهم في عملية بناء الحضارة، حيث يرى مالك بن نبي أن الحضارة تبدأ بالإنسان، لكونه العنصر المفعل لعملية التغيير انطلاقا من إرادته ورؤيته وقدرته على التغيير، إلى جانب التراب والزمان في ظل الوسيط الدين والعادات والتقاليد[4].

2 - الثقافة والمعرفة : يعتبر بن نبي أن الثقافة والمعرفة هما العنصران الحاسمان في تكوين شخصية الإنسان الحضاري. ويؤكد على ضرورة بناء الإنسان المثقف الواع، ذو القدرة على المشاركة في التنمية انطلاقا من بعدي الحضور والشهادة، ومن هنا يكون قادرا على التفكير النقدي والإبداعي، الذي يمتلك القدرة على الفهم والتفاعل مع العالم من حوله[5].

3 - **القيم والأخلاق** : يؤكد مالك بن نبي على أهمية القيم والأخلاق في بناء الإنسان، حيث يرى أن الأخلاق هي الأساس الذي يقوم عليه بناء الفرد والمجتمع، وأنها تشكل البنية الداخلية التي تحدد سلوك الإنسان وتوجهاته[6].

---

[1] نفسه، ص 10.

[2] مالك بن نبي : **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، ط 1، ترجمة : بسام بركة وأحمد شعبو، اشراف وتقديم عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1423ه/2002م، ص 17.

[3] مالك بن نبي : نفس المصدر، ص 17.

[4] الطاهر سعود : **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**، دار الهادي، بيروت، لبنان، 2006، ص 207.

[5] مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة، مرجع سابق**، ص 79. – مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع، الجزء الاول شبكة العلاقات الاجتماعية**، ترجمة : عبد الصبور شاهين، ط 3، دار الفكر، دمشق، 1406ه/1986م، ص 102. – مالك بن نبي :**القضايا الكبرى**، اشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 1420ه/2000م، ص ص 76، 78.

[6] مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة**، نفس المرجع 67.

كما يرى مالك بن نبي أن الإنسان هو المحور الأساسي للتنمية، ويعتمد هذا الرأي على مجموعة من المبادئ والأفكار التي تتعلق بدور الإنسان في المجتمع فكيف يمكن أن يكون الإنسان أداة فعالة للتغيير والتنمية؟

يمكن تلخيص رؤية بن نبي لذلك من خلال النقاط التالية:

✓ **الإنسان أساس الحضارة :**

الإنسان هو المكوّن الرئيسي والعامل المحرك للتقدم الحضاري، فالإنسان يمتلك القدرة على التفكير والإبداع والابتكار، وهذه الصفات هي التي تساعد في تنشئة المجتمعات وتطويرها عبر العصور، هذا من خلال قدرة الإنسان على التعلم والتكيف مع البيئة، حيث قام الإنسان بتطوير الأدوات والتكنولوجيا والمؤسسات التي ساهمت في تحسين ظروف حياته وتطوير المجتمعات. بالإضافة إلى ذلك، فإن القدرة على التعاون والتفاعل الاجتماعي بين البشر تسهم في تشكيل شبكة العلاقات القوية داخل المجتمعات، وتعزز من التقدم الحضاري والثقافي[1]. لذا، يمكن القول بأن الإنسان كعنصر حيوي في الحضارة يمتلك القدرة على إحداث التغييرات الإيجابية التي تسهم في تقدم البشرية بشكل عام. وهذا يقوم على[2] :

– اعتبار الإنسان العنصر الأساسي في بناء الحضارة، حيث أن الحضارات تُبنى على أكتاف الأفراد المبدعين والمفكرين والمجتهدين.

– الإنسان هو المحرك الرئيسي لكل تطور أو تقدم، وأن جودة الحضارة تعتمد على جودة الأفراد الذين يشكلونها.

✓ **التنمية تبدأ بالإنسان :** يرى مالك بن نبي أن التنمية تبدأ من الفرد ذاته، حيث يعتبر الإنسان هو اللبنة الأساسية في عملية التنمية. وفي هذا السياق، يشدد بن نبي على أهمية التربية والتعليم في تكوين شخصية الإنسان وتنمية مهاراته وقدراته. ذلك مما يقره مالك بن نبي من خلال[3] :

– التنمية الحقيقية تبدأ من الإنسان، وليس من الموارد المادية، حيث يرى أن الاستثمار في الإنسان هو الأساس لتحقيق التنمية المستدامة باعتبار الإنسان رأس المال.

– التنمية البشرية تتطلب تطوير القدرات الفكرية والأخلاقية للأفراد، حيث يصبحون قادرين على مواجهة التحديات والإسهام بفعالية في المجتمع.

✓ **دور التربية والتعليم :** إن التربية والتعليم هما الركيزتان الأساسيتان في بناء مجتمعات قادرة على رفع التحدي الحضاري، هذا من خلال ما يوليه مالك بن نبي :

---

[1] مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع**، المرجع السابق، ص ص 29، 30.

[2] طاهر سعود : المرجع السابق، ص ص 208، 209.

[3] مالك بن نبي : **تأملات**، اشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 1423ه/2002م، ص ص 56 – 62.

– الأهمية الكبيرة للتربية والتعليم في تكوين الإنسان القادر على التنمية، حيث يرى مالك بن نبي أن بضرورة شمولية التعليم، الذي ينبغي أن يغطي الجوانب الأكاديمية والأخلاقية والاجتماعية.

– الاعتقاد الجازم باعتبار التعليم هو الوسيلة الرئيسية لبناء الإنسان الواعي والمسؤول، القادر على قيادة المجتمع نحو التنمية.

✓ **القيم والأخلاق :** فهي الوسيط الفاعل في تنشئة الإنسان، حتى يكون عنصرا فاعلا وأساسيا من خلال:

– القيم والأخلاق هي الأساس الذي يبنى عليه الإنسان الفاعل في التنمية، حيث يرى أن الأخلاق تشكل البنية التحتية للسلوك الإيجابي والإنتاجي.

– الأخلاق ليست مجرد سلوك فردي، بل هي عنصر جوهري في بناء المجتمع وتوجيهه نحو التنمية.

✓ **الوعي الاجتماعي :** أسهم مالك بن نبي في تطوير نظرية الوعي الاجتماعي، التي تركز على فهم كيفية تكوين الوعي الجماعي لدى الأفراد والمجتمعات، وكيف يؤثر الوعي على سلوكهم وتصرفاتهم الاجتماعية والسياسية. ينظر إلى الوعي الاجتماعي عند مالك بن نبي على أنه مجموعة من الأفكار والقيم التي تشكل الشخصية الاجتماعية وتؤثر في الاستجابات السياسية والثقافية والاقتصادية للأفراد والمجتمعات. هذا ما جعل مالك يقف عند الوعي الاجتماعي من خلال :

– التأكيد على أهمية الوعي الاجتماعي والفكري في عملية التنمية، حيث يرى أن الإنسان يجب أن يكون واعياً بالتحديات والمشكلات التي تواجه مجتمعه، وأن يكون لديه رؤية واضحة لكيفية المساهمة في حلها.

– يشدد على ضرورة تنمية الوعي بالمسؤولية الاجتماعية لدى الأفراد، بحيث يكون كل فرد جزءاً من حل المشكلة وليس جزءاً من المشكلة.

✓ **الإبداع والابتكار:** وهي خصلتان من خصال حيوية الإنسان، حيث لا يمكن تمييزه عن غيره من الكائنات، ومن هنا فإن مالك:

– يشجع على الإبداع والابتكار كوسيلة لتحقيق التنمية. يرى أن الإنسان يجب أن يكون مبتكراً في تفكيره وأفعاله، وأن يسعى دائماً لإيجاد حلول جديدة ومبتكرة للمشكلات القائمة.

– يعتبر أن الإبداع هو محرك أساسي للتنمية، وأن الإنسان المبدع هو من يقود المجتمع نحو التقدم.

ومما سبق فإن مالك بن نبي يعتبر الإنسان ليس محور التنمية فقط، بل هو أساسها ووسيلتها وهدفها. والتنمية تبدأ ببناء الإنسان وتطوير قدراته الفكرية والأخلاقية والاجتماعية، وتنتهي بتحقيق مجتمع متطور ومزدهر يعتمد على أفراده المبدعين والمسؤولين.

✓ **التربية والتعليم :** يرى مالك بن نبي أن التربية والتعليم هما الآليتان الرئيسيتان لتشكيل الإنسان المثالي.

كما يعتبر أن التعليم لا يجب أن يقتصر على الجوانب الأكاديمية فقط، بل يجب أن يشمل أيضًا التربية الأخلاقية والاجتماعية.

✓ **دور الإنسان في المجتمع** : يؤكد مالك بن نبي على أن الإنسان ليس كائنًا منعزلًا، بل هو بطبعه كائنا مجتمعيا، فهو جزء من مجتمع يتفاعل معه ويؤثر فيه ويتأثر به، لذا يرى مالك بأن إصلاح المجتمع يبدأ بإصلاح الإنسان الفرد، وتوجيهه ليكون عنصرًا إيجابيًا فاعلاً في مجتمعه.

✓ **النهوض الحضاري :** يؤمن بن نبي بأن نهضة الأمم والحضارات تعتمد على نوعية الأفراد الذين يتكونون منها، فهو يعتبر أن أي مشروع نهضوي يجب أن يبدأ بالتركيز على الإنسان، وتأهيله ليكون قادرًا على الإسهام بفعالية في بناء الحضارة.

ومن ما سبق يظهر أن مالك بن نبي يرى في الإنسان مفتاحًا رئيسيًا للتغيير والإصلاح الحضاري، وأنه من خلال تنشئة الإنسان فكريًا وأخلاقيًا واجتماعيًا، يمكن تحقيق نهضة شاملة ومستدامة للمجتمع.

4 – الانسان المحور الأساسي للتنمية :

يرى مالك بن نبي الإنسان بوصفه المحور الأساسي للتنمية من خلال مفهومه الشامل والحضاري للتنمية في فلسفته، حيث يركز بن نبي على دور الإنسان في تحقيق التنمية والنهوض الحضاري، ويعتبر أن الإنسان هو العنصر الأساسي الذي يجب الاستثمار فيه لتطوير المجتمع وتحقيق التقدم، حيث يمكن

تلخيص رؤية مالك بن نبي حول هذا الموضوع في النقاط الآتية:

– **الإنسان الفاعل والمبدع** : يرى بن نبي أن التنمية الحقيقية تبدأ من الإنسان نفسه، فهو العنصر الفاعل والمبدع الذي يمكنه تحويل الأفكار إلى واقع. الإنسان هو من يبتكر ويطور الأدوات والتقنيات، وهو من يصنع الحضارة بمعارفه ومهاراته وإرادته.

– **بناء الشخصية الإنسانية** : يؤكد بن نبي على أهمية بناء الشخصية الإنسانية القادرة على تحمل المسؤولية والمساهمة الفعالة في التنمية. هذه الشخصية تحتاج إلى التعليم الجيد والتربية الصحيحة والتدريب المستمر لتنمية قدراتها ومهاراتها.

ثانيا – العلاقة بين الثقافة والتنمية:

إن للثقافة دور حاسم في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات، حيث كان مالك يرى أن الثقافة ليست مجرد مجموعة من العادات والتقاليد، بل هي القوة الدافعة والمحركة وراء التقدم والتحول في المجتمعات. وفهمه للثقافة كان يتجاوز الأبعاد النمطية للثقافة ليشمل الجوانب الفكرية والروحية والإبداعية.

عندما يتعلق الأمر بالتنمية، كان مالك بن نبي يروج لفكرة أن التنمية الحقيقية والمستدامة لا يمكن أن تتحقق بدون الاهتمام بالثقافة والتعبير الثقافي. كما كان يعتبر أن الثقافة تساهم في بناء هوية الشعوب وتعزز

الانتماء الوطني القومي والتفاعل الاجتماعي. بالإضافة إلى ذلك، كان يربط بين الثقافة والتنمية الاقتصادية، حيث أن الابتكار والإبداع والمهارات الثقافية يمكن أن تكون محفزات للنمو الاقتصادي والتقدم التكنولوجي.

وبموجب هذه النظرية، يُعتبر التعليم والبحث العلمي والتطوير التكنولوجي جزءًا أساسيًا من عملية التنمية، حيث تلعب الثقافة دورًا حاسمًا في تعزيز هذه الجوانب وتحفيز الابتكار والتفاعل الإبداعي بين الأفراد والمجتمعات.

وعليه مالك بن نبي يعتبر أن العلاقة بين الثقافة والتنمية ترتكز على فهم عميق لدور الثقافة كمحرك أساسي للتقدم الاجتماعي والاقتصادي، وعلى أهمية إدماج العوامل الثقافية في استراتيجيات التنمية المستدامة. وهذا لا يستوي عند مالك إلا من خلال :

- تأثير البعد الثقافي على عملية التنمية الاجتماعية :

إن تأثير البعد الثقافي على عملية التنمية الاجتماعية كبير ومتنوع، فالثقافة في فكر مالك بن نبي تُمثل مجموعة القيم والمعتقدات والسلوكيات التي تبرز كيفية تفاعل الأفراد داخل المجتمع، وبالتالي تؤثر على جميع جوانب التنمية الاجتماعية. وفيما يلي بعض الطرق التي يؤثر بها البعد الثقافي على التنمية الاجتماعية:

- القيم والمعتقدات : يرى مالك أن القيم والمعتقدات تؤسس من خلال :

- **تشكيل الأولويات التنموية** : القيم الثقافية تؤثر على ما يعتبره المجتمع مهمًا وضروريًا للتنمية. وفي بعض الثقافات يُعطى التعليم أولوية قصوى، مما يوجه الموارد والجهود نحو تحسين النظام التعليمي.

- **التعامل مع التغيير** : الثقافات التي تشجع الابتكار والانفتاح على الأفكار الجديدة تكون أكثر قدرة على التكيف مع التغيرات وتحقيق التنمية.

2 - الأدوار الاجتماعية والعلاقات : وهي لا تتضح إلا من خلال :

- **توزيع الأدوار** : يرى مالك أن القيم الثقافية تحدد الأدوار الاجتماعية لكل فرد بناءً على الجنس، العمر، الطبقة الاجتماعية، وما إلى ذلك. هذا يؤثر على كيفية توزيع الفرص والموارد داخل المجتمع.

- **العلاقات الاجتماعية** : إن قوة العلاقات الأسرية والمجتمعية يمكن أن تؤثر بشكل كبير على تماسك المجتمع وقدرته على العمل معًا لتحقيق أهداف تنموية مشتركة.

ثالثا – **دور القيم والأخلاق في التأثير على التنمية الاجتماعية** :

تلعب القيم والأخلاق دورًا بارزًا في التأثير على التنمية الاجتماعية عند مالك بن نبي، حيث يرى أن القيم والأخلاق تشكل أساسًا مهمًا لبناء المجتمعات القوية والمستقرة، وتسهم في تعزيز العلاقات الاجتماعية الإيجابية وتحقيق السلام والتآلف بين أفراد المجتمع. كما يؤمن بن نبي بأن القيم الإنسانية مثل العدالة والصدق والمساواة

تسهم في خلق بيئة اجتماعية تعزز من التنمية الشاملة والمستدامة. كما يركز على أهمية تعليم هذه القيم منذ الصغر لبناء أجيال مستقبلية تساهم في تحقيق التقدم الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع.

إن بن نبي يروج أيضًا لأخلاقيات العمل والاجتهاد كأساس للنجاح الفردي والجماعي، مما يسهم في تحقيق رفاهية الفرد وتعزيز قدراته الاجتماعية والاقتصادية. بالتالي، يمكن القول إن القيم والأخلاق تشكل عنصرًا أساسيًا في الفلسفة الاجتماعية لمالك بن نبي، حيث تسهم في تعزيز التنمية الاجتماعية من خلال تعزيز التفاعل الإيجابي والتعاون بين أفراد المجتمع.

فهو يشدد على أهمية القيم والأخلاق في عملية التنمية، فالإنسان الذي يتسم بالصدق والأمانة والعمل الجاد والانضباط يكون قادراً على بناء مجتمع متقدم ومزدهر. ولا يتأتى كل ذلك إلا من خلال :

1 – **العقلية الحضارية** : يؤكد بن نبي على ضرورة تكوين عقلية حضارية لدى الأفراد، تعنى بالنظر إلى الأمور بنظرة شمولية وتفكيرية، والسعي نحو تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

2 – **الدور الاجتماعي** : الإنسان ليس كائناً معزولاً بل هو جزء من مجتمع، ومن ثم فإن التعاون والتضامن بين الأفراد ضروري لتحقيق التنمية. كما يرى بن نبي أن التماسك الاجتماعي والوحدة بين أفراد المجتمع يمكن أن يشكل بيئة مناسبة للنمو والازدهار.

3 – **العلم والمعرفة** : يؤمن بن نبي بأن العلم والمعرفة هما أساس التنمية. الإنسان المتعلم والمثقف يستطيع أن يقود عملية التنمية بفعالية، وأن يبتكر حلولاً للتحديات التي تواجه المجتمع.

ومن خلال تلك الرؤية الشاملة، يبرز مالك بن نبي أهمية الإنسان بوصفه المحور الأساسي للتنمية، ويشدد على ضرورة الاستثمار في الإنسان من خلال التعليم والتربية والتدريب على القيم والأخلاق والعمل الجماعي لبناء مجتمع حضاري متقدم.

4 – الصفات والقدرات الواجب توفرها للإنسان لإحداث التغيير والتنمية :

إن رؤية مالك بن نبي لإحداث التغيير والتنمية، تقوم على تحلي الإنسان بمجموعة من الصفات والقدرات التي تُمكّنه من تحقيق هذا الهدف بنجاح. هذه الصفات والقدرات تتمثل في :

– **القيادة والرؤية الاستراتيجية:** وهذا لا يستوي إلا من خلال :

- ✓ القدرة على تحديد الرؤية من خلال وجود رؤية واضحة ومحددة للمستقبل.
- ✓ القدرة على التخطيط الاستراتيجي عن طريق وضع خطط عملية لتحقيق الأهداف المحددة.

– **الابتكار والإبداع :** وكل منهما يرتكز على ،

- ✓ القدرة على التفكير الإبداعي بإيجاد حلول جديدة ومبتكرة للمشكلات القائمة.

- ✓ التكيف مع التغيير وفق القدرة على التكيف مع الظروف المتغيرة واستغلالها بشكل إيجابي.

– المرونة والقدرة على التكيف : وهذا من خلال :

- ✓ القدرة على التعامل مع التحديات من خلال الاستجابة بفعالية للتحديات والمشاكل التي قد تنشأ.
- ✓ الاستمرارية، ذلك بالقدرة على المضي قدماً رغم الصعوبات.

– المهارات الاتصالية : وتظهر من خلال :

- ✓ القدرة على التواصل الفعال؛ أي توصيل الأفكار والرؤى بوضوح للأطراف المعنية.
- ✓ الاستماع الجيد من خلال فهم احتياجات وتوقعات الآخرين.

– المهارات التنظيمية والإدارية : التي من خلالها يمكن التحكم في :

- ✓ إدارة الوقت :القدرة على تنظيم الوقت بشكل فعال.
- ✓ إدارة الموارد :الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة لتحقيق الأهداف.

– التعلم المستمر : وهذا من خلال :

- ✓ القدرة على التعلم والتطوير الذاتي عن طريق متابعة التطورات والمستجدات في المجال والعمل على تحسين المهارات بشكل مستمر.
- ✓ القدرة على التكيف مع التقنيات الجديدة باستخدام التقنيات الحديثة لتحسين الأداء وتحقيق الأهداف.

– الالتزام بالأخلاق والقيم :

- ✓ النزاهة :التصرف بصدق وشفافية في جميع الأوقات.
- ✓ المسؤولية الاجتماعية :الالتزام بتحقيق التنمية المستدامة والمساهمة في رفاه المجتمع.

– العمل الجماعي والتعاون :

- ✓ القدرة على العمل ضمن فريق :التعاون مع الآخرين لتحقيق الأهداف المشتركة.
- ✓ بناء العلاقات :القدرة على بناء علاقات إيجابية مع الزملاء والشركاء.

– الصبر والمثابرة:

- ✓ القدرة على التحمل :مواجهة التحديات والصعوبات بصبر وثبات.
- ✓ الإصرار :الاستمرار في العمل نحو الأهداف رغم العراقيل.

تحقيق التغيير والتنمية يتطلب تضافر هذه الصفات والقدرات، وكذلك الالتزام بتحقيق أهداف واضحة

ومحددة. الشخص الذي يمتلك هذه المهارات يكون مؤهلاً لإحداث تأثير إيجابي ومستدام في مجتمعه أو مجاله المهني.

5 – دور الفكر والقيم في التأثير على التنمية الاجتماعية

إن للفكر والقيم دورًا حيويًا في التأثير على التنمية الاجتماعية في فلسفة مالك بن نبي، حيث يعتبر بن نبي أن الفكر الصحيح والقيم الإيجابية هما الأساس لبناء مجتمعات قوية ومترابطة، ولتحقيق التنمية الشاملة والمستدامة.

1 – الفكر الصحيح :يؤمن بن نبي بأهمية الفكر في تحديد مسار التنمية الاجتماعية، حيث يجب أن يكون مبنيًا على المعرفة العلمية والتحليل الدقيق للواقع الاجتماعي والاقتصادي. ينظر إلى الفكر كأداة لفهم التحولات الاجتماعية ولتطوير استراتيجيات فعالة لتحسين الظروف الاجتماعية للأفراد والمجتمعات.

2 – القيم الإيجابية :يعزز بن نبي أهمية القيم الإنسانية مثل العدالة، والصدق، والمساواة كأساس لبناء مجتمعات مزدهرة ومستقرة. تلعب هذه القيم دورًا أساسيًا في تعزيز التفاعل الاجتماعي الإيجابي، وفي تعزيز الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع.

3 – التأثير على التنمية الاجتماعية :من خلال تعزيز الفكر الصحيح ونشر القيم الإيجابية، يؤمن بن نبي أنه يمكن تحقيق تنمية اجتماعية شاملة ومستدامة تعزز من رفاهية الأفراد وتعزز من قدراتهم الاجتماعية والاقتصادية.

بالمجمل، يركز مالك بن نبي على أهمية الفكر والقيم كأساس للتأثير على التنمية الاجتماعية، مؤمنًا بأن الفهم الصحيح والتصور الإيجابي للقيم يمكن أن يسهم في بناء مجتمعات قوية ومزدهرة.

رابعا – البيئة الاجتماعية والمؤسسات :

تعد البيئة الاجتماعية والمؤسسات عناصر حيوية تؤثر بشكل كبير على التنمية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي، حيث ينظر بن نبي إلى البيئة الاجتماعية كالسياق الذي يؤثر في سلوكيات الأفراد والمجموعات، ويشكل التفاعلات الاجتماعية بينهم. بالإضافة إلى ذلك، يركز على دور المؤسسات كوسيلة لتنظيم العلاقات الاجتماعية وتوجيه الجهود نحو تحقيق الأهداف الاجتماعية والاقتصادية المشتركة.

1 – البيئة الاجتماعية : يؤكد بن نبي على أن البيئة الاجتماعية تشمل المجموعات الاجتماعية، والقيم والمعتقدات، والعادات والتقاليد التي تؤثر في سلوك الأفراد وتوجهاتهم. يعتبر أن فهم هذه الديناميكيات الاجتماعية ضروري لتحقيق التنمية الشاملة، حيث يمكن من خلال تحليل البيئة الاجتماعية تحديد المشكلات والفرص التي تواجه المجتمع.

2 – المؤسسات : تعتبر المؤسسات في فكر بن نبي بمثابة الآليات التنظيمية التي تسهم في تنظيم الحياة الاجتماعية وتوجيه الجهود نحو تحقيق الأهداف الاجتماعية المشتركة. يشمل ذلك المؤسسات الحكومية والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية، والتي يعتبرها بن نبي أدوات لتنظيم العمل الاجتماعي وتحفيز النمو

الاقتصادي والاجتماعي.

بهذه الطريقة، يتعامل مالك بن نبي مع البيئة الاجتماعية والمؤسسات كأركان أساسية في بناء المجتمعات وتحقيق التنمية الاجتماعية، مؤكدًا على أهمية تحليل وتفاعل هذه العناصر لتحقيق التطور والاستقرار الاجتماعي في العالم العربي والإسلامي.

- المؤسسات والتشريعات :

تلعب المؤسسات والتشريعات دورًا حيويًا في بناء المجتمعات وتعزيز التقدم الاجتماعي والاقتصادي. وهي تعد عناصر أساسية في تأسيس النظام الاجتماعي الذي يُمكّن الفرد ويُعزز العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع. وهي :

1 - المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية :

إن مالك بن نبي يرى أن المؤسسات الاجتماعية مثل الأسرة والمدرسة والمجتمعات المحلية تلعب دورًا أساسيًا في تنمية الشخصية الإنسانية. كما أنها تساهم في تأسيس قيم ومعتقدات بدورها تساعد على تشكيل الهوية الثقافية والوطنية. كما أن المؤسسات الاقتصادية مثل الشركات والصناديق والبنوك تعزز التنمية الاقتصادية وتسهم في إيجاد فرص العمل وزيادة الإنتاجية.

2 - التشريعات والقوانين :كان مالك بن نبي يؤمن بأهمية التشريعات في تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. كما كان يرى أن القوانين يجب أن تكون عادلة ومرجعية للعدالة الاجتماعية، وأنها يجب أن تحمي حقوق الأفراد وتسهم في تحقيق المساواة والتنمية المستدامة. كما أن التشريعات تلعب دورًا في تعزيز الاستقرار والأمن الاجتماعي والاقتصادي.

3 - الديمقراطية والمشاركة السياسية : إن مالك بن نبي يولي اهتماما كبيرا بتعزيز الديمقراطية والمشاركة السياسية، حيث يرى أنها تساهم في بناء المجتمعات الحرة والعادلة. كما كان يروج لضرورة تفعيل دور المواطن في صنع القرارات السياسية والاجتماعية، وتعزيز حقوق الإنسان وحرياته.

- **تأثير الثقافة على القوانين والسياسات :**

التشريعات والسياسات غالبًا ما تكون انعكاسًا للقيم الثقافية السائدة. على سبيل المثال، الثقافات التي تقدر المساواة قد تسن قوانين تدعم حقوق الإنسان وتعزز العدالة الاجتماعية.

تطبيق القوانين :الفهم الثقافي يمكن أن يؤثر على كيفية تطبيق القوانين وتنفيذ السياسات التنموية، بما في ذلك مدى قبول المجتمع لها.

التعليم والتعلم: نظم التعليم :الثقافة تؤثر على محتوى وأساليب التعليم. التعليم الذي يحترم القيم الثقافية للمجتمع يكون أكثر فعالية في تعزيز التنمية.

التعلم مدى الحياة :بعض الثقافات تشجع على التعلم المستمر وتطوير المهارات، مما يساهم في تحسين رأس المال البشري ودعم التنمية.

الاقتصاد والعمل : أخلاقيات العمل :الثقافات التي تقدر العمل الجاد والانضباط تشجع على الإنتاجية والنمو الاقتصادي.

ريادة الأعمال :القيم الثقافية التي تدعم الابتكار والمغامرة يمكن أن تحفز ريادة الأعمال والنمو الاقتصادي.

الصحة والرفاه : الممارسات الصحية :العادات والتقاليد الثقافية تؤثر على الممارسات الصحية وكيفية التعامل مع المرض والعلاج.

الرفاه النفسي والاجتماعي : الدعم الاجتماعي والمجتمعي الذي توفره الثقافة يمكن أن يعزز الرفاه النفسي والاجتماعي للأفراد، مما يدعم التنمية المستدامة.

البيئة والاستدامة : العلاقة مع البيئة :القيم الثقافية تؤثر على كيفية تعامل المجتمع مع البيئة واستخدام الموارد الطبيعية. الثقافات التي تقدر الاستدامة تكون أكثر قدرة على تنفيذ ممارسات تنموية صديقة للبيئة.

الثقافة ليست عاملًا ثابتًا، بل هي ديناميكية وتتغير بمرور الوقت. التفاعل بين الثقافة والتنمية الاجتماعية يمكن أن يؤدي إلى تطوير سياسات وممارسات تنموية تكون أكثر توافقًا مع القيم الثقافية، مما يعزز فرص نجاحها واستدامتها.

الخاتمة :

تتمحور فلسفة مالك بن نبي حول دور الإنسان كمحرك أساسي لعملية التنمية الاجتماعية، ويقدم مجموعة من العوامل الثقافية والفكرية والمؤسسية التي يعتبرها ضرورية لتحقيق تنمية مستدامة.

والإشكالية المطروحة تستدعي تحليلًا عميقًا لرؤيته وكيف يمكن تطبيق أفكاره في الواقع المعاصر لتحقيق التقدم والتنمية في المجتمعات.

وهذه الإشكالية تفتح المجال أمام تحليل شامل لأفكار مالك بن نبي وتطبيقها على الواقع الاجتماعي، مما يسهم في فهم أعمق لدور الإنسان في تحقيق التنمية الاجتماعية الشاملة، كما ينبغي لنا أن نسعى جاهدين إلى الوصول إلى العمل بما يصبو إليه مالك بن نبي حتى نستطيع إيجاد موقع بين الشعوب الأمم كي نساهم في التنمية، كما كنا قبل في العصور الزهرة لإنسان ما قبل دولة الموحدين.

قائمة المصادر والمراجع :

- مالك بن نبي : **القضايا الكبرى**، اشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 1420ه/2000م.
- مالك بن نبي : **تأملات**، اشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 1423ه/2002م.

– مالك بن نبي : **مذكرات شاهد للقرن**، اشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 1413ه/1993م.

– مالك بن نبي : **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، ط 1، ترجمة : بسام بركة وأحمد شعبو، اشراف وتقديم عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1423ه/2002م.

– مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع، الجزء الاول شبكة العلاقات الاجتماعية**، ترجمة : عبد الصبور شاهين، ط 3، دار الفكر، دمشق، 1407ه/1986م.

– مالك بن نبي :**القضايا الكبرى**، اشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 1420ه/2000م.

– الطاهر سعود : **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**، دار الهادي، بيروت، لبنان، 2006.

– عبد الله بن حمد العويسي : **مالك بن نبي حياته وفكره**، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2012.

– عمر احمد محمد سعيد عثمان : **مالك بن نبي – مهندس الحضارة –**، ور قة بحثية، إشراف توفيق العوجي، جامعة بيروت الإسلامية، الرابط : https://www.academia.edu.

– محمد الشافي : " فلسفة الإنسان والحضارة عند مالك بن نبي من خلال الدراسات المعاصرة – التأصيل والأبعاد – "، **مجلة العلوم الإسلامية والحضارة**، مطبعة مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 4، العدد 1، الاغواط، الجزائر، 30 جانفي 2019.